يُقرُّه ويُشرِّعه، وبذلك فإنه ﷺ بسهوه عن الصلاة كان يُشرِّع لأمته كيفية قضاء الصلاة، وأنه ﷺ بجمعه في الصلاة في غير سفر ولا خوف، لم يفعل ما يخالف الشرع، وإنما فعل ذلك لئلا يشُقّ على أمته، فقصد إلى التخفيف عنهم ®.

الخلاصة:

- حفظ الله تبارك وتعالى عباده المخلصين وعصمهم من كيد إبليس وجنوده؛ ولقد كان محمدٌ ﷺ إمام المخلصين الصالحين وأول المعصومين من كيد إبليس.
- عصمته ﷺ من كيد الشيطان ثابتة بالكثير من الشواهد والأدلة التي لا ينكرها أحد، فالنبي ﷺ أقوى من الشيطان حسًّا ومعنى، فلقد تعرَّض الشيطان أكثر من مرة للنبي ﷺ لينال منه ولكن الله مكنه منه، حتى إن قرينه من الجن قد أسلم فلم يكن يأمره إلا بخير.
- ليس المقصود بالغين في حديث: "إنه ليغان على قلبي" تعرُّضه ﷺ لوسوسة الشيطان، أو وقوع الريب في قلبه، ولكن معناه ومقصوده أنه ربما يسهو عن مداومة ذكر ربه ومطالعة الحق، وليس هذا تقصيرًا منه، وإنما من قبيل السكينة التي تغشى قلبه ﷺ، وأما استغفاره فهو شكر لله ﷻ.
- النبي ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة لنا جميعًا، وقد أراد الله ﷻ أن ينام النبي ﷺ عن صلاة من الصلوات لتقرير قاعدة شرعية وحكم شرعي، وهو "قضاء الصلاة الفائتة"، ولم يكن نومه هذا بسبب تأثره بكيد الشيطان له.
- لا يجوز الجمع بين صلاتين لغير عذر شرعي؛ لأن لكل صلاة وقتها، والعذر قد يكون خوفًا أو سفرًا أو مطرًا أو مرضًا... إلخ، أما جمعه ﷺ بين صلاتين من غير عذر، فإنما كان بغرض التخفيف عن الأمة، ولئلا يشقَّ عليهم.

® في "رخصة الجمع بين الصلاتين والحكمة من ذلك" طالع: الشبهة التاسعة، من الجزء السادس (تشريعات النبي ﷺ وسياسته وجهاده).

الشبهة الحادية والعشرون

ادعاء أن تعرُّض النبي ﷺ للسِّحْر يتنافى مع عصمته(*)

مضمون الشبهة:

ينكر بعض المغالين سحر لبيد بن الأعصم للنبي ﷺ، ويستدلون على ذلك بأن وقوع السحر عليه ﷺ نقص وعيب ينافيان عصمته ﷺ، وبأن القول بتعرُّضه للسحر يتعارض مع بعض آيات القرآن الكريم الثابتة في حقه ﷺ. وهم بذلك يُغالون في وصف النبي ﷺ ويسيئون فهم معنى عصمته ﷺ.

وجوه إبطال الشبهة:

١) مما لا شك فيه أن النبي ﷺ بشر له صفات البشر، ويتعرَّض لما يتعرَّض له سائرهم من المرض والشِّفاء، والحُزْن والفرح، والعُسْر واليُسْر، فلماذا ينكرون عليه أن يُسحَر، والسحر مرض كغيره من الأمراض؟!

(*) السنة النبوية الشريفة، د. أحمد محمود كريمة، مكتبة الأزهر، القاهرة، ١٤١٨هـ.

٢) تعرُّض النبي ﷺ للسحر ثابت في أصح كتب السنة، بيد أن سحره لا يتعارض مع عصمته؛ لأنه لم يُؤثِّر في قواه العقلية أو صفته الشرعية، وإنما أثّر في شيء من نشاطه البدني فحسب.

٣) إن تعرُّض النبي ﷺ للسِّحر لا يتعارض مع آية واحدة في القرآن الكريم، بل إن بعض آيات القرآن تُؤيِّد حدوث هذا الأمر مثل المعوِّذتين.

٤) لقد شاء الله تبارك وتعالى أن يقع هذا السِّحر على النبي ﷺ لحكمة عظيمة، وهي أن تستفيد الأمة، وتتعلم ماذا تفعل إن حدث لأحد أفرادها شيء مثل هذا.

التفصيل:

أولا. النبي ﷺ بشر؛ يتعرَّض لما يتعرَّض له البشر من المرض والشفاء، والحزن والفرح، والسحر من جملة تلك الأمراض:

نقرُّ في البدء أن النبي ﷺ وسائر الأنبياء والرسل الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بشر كغيرهم من الناس، يطرأ عليهم ما يطرأ على سائر البشر من حيث الظاهر، فيجوز تعرضهم للآفات المنفرة والتغيرات من انقباض وبَسْط، وفرح وغمٍّ، وسائر الحالات من آلام، وأسقام، وتعرُّض للموت الزؤام، وهذا كله ليس بنقيصة فيهم، ومما يؤكد هذا أن الأنبياء قبله ﷺ تعرَّضوا للعوارض البشرية فقتِّلوا تَقْتيلًا كيحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ، ونُشروا بالمناشير كزكريا عليه السلام.

ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات، ومنهم من عصمه الله من القتل كعيسى عليه السلام؛ إذ تمالأت اليهود على قتله، فرفعه الله إليه، وطهَّره من صُحْبتهم، كما عُصم نبيُّنا من الناس، وحماه الله من عبد الله بن قَمِئة الذي جرح وَجْنة رسول الله ﷺ، فدخلت حلقتان من حلق المِغْفر[1] في وجنته يوم أحد، وحجبه الله عن عيون أعدائه ـ أهل الطائف ـ عند دعوتهم إلى توحيد الله، وحماه الله من بطش أشداء المشركين من قريش يوم الهجرة عند خروجه من بيته إلى غار ثور عن يمين مكة، حين أرادوا قتله، فخرج عليهم وقرأ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ (يس)، وأمسك الله تعالى عن نبيه ﷺ سيف غَوْرث بن الحارث، وحفظه من أبي جهل ـ فرعون هذه الأمة ـ حين حمل صخرة ليطرحها على النبي ﷺ وهو ساجد، فلزِقت بيده، كما حفظه من شر سراقة بن مالك فغاصت أقدام فرسه بالأرض، ووقاه الله من أَثَر سحر لبيد بن الأعصم اليهودي كما في رواية البخاري، كما وقاه ما هو أعظم، وهو سُمُّ اليهودية بخيبر.

وهكذا سائر الأنبياء، منهم المبتلَى كأيوب عليه السلام ومنهم المعافَى من كثرة الأسقام وشدة الآلام، وكان ابتلاؤهم من تمام حكمة الله عز وجل ليُظهر الله شرفهم في هذه الأحوال المتفاوتة، ويبيِّن أَمْرَهم، ويُتمَّ كلمته فيهم، ولتتحقَّق مقتضيات بشريَّتهم، ويرتفع الالْتِباس عن أهل الضعف فيهم، لئلا يَضلُّوا بما يظهر من العجائب (خوارق العادات الغرائب) على أيديهم، كبرد النار على إبراهيم الخليل، وقَلْب العصا حية لموسى الكليم، وخلق الطير من الطين، وإحياء الموتى على يد عيسى، وانشقاق القمر لنبينا، لتكون حياتهم ومحنتهم

١. المِغْفر: غطاء يُنسج من الدروع على قَدْر الرأس لحمايتها.

عبرة لأممهم وإيناسًا بسيرتهم وزيادة لأجورهم عند ربهم[1].

ومن هنا نعلم أن النبي ﷺ كانت تجري عليه كل النواميس المعتادة التي كتبها الله على بني آدم من جملة البشر بما فيهم الأنبياء والرسل بطبيعة الحال®.

ثانيًا. تعرُّض النبي ﷺ للسِّحر ثابت في أصح كتب السنة:

لا غضاضة في تعرُّضه ﷺ للسحر، ولا يستطيع أحد أن ينكر ذلك؛ لأنه بشر يجوز أن يتعرض لهذا المرض كما يجوز عليه أي مرض، ولكن الله ﷻ عصمه من تأثير السحر في عقله، وجعل تأثيره مُنحصرًا في نشاطه البدني فقط. فعن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ سُحِرَ، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، فقال: "يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان[2]، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مَطبوب، قال ومن طبَّه؟ قال: لَبِيد بن أعصم رجل من بني زُريق، حليف لليهود، كان منافقًا، قال: وفيمَ؟ قال: في مُشط ومُشاطة، قال: وأين؟ قال: في جفٍّ طَلعَة ذَكَرٍ، تحت رَعوفة[3] في بئر أروان"، قالت: فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه، فقال: "هذه البئر التي أُريتُها، وكأن ماءها نُقاعة الحنَّاء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين"، قال: فاستخرج، قالت: فقلت: أفلا أحرقته؟ فقال: "أما والله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًّا"[4].

ومن هذا الحديث الشريف يتبيَّن لنا أن تعرُّضه ﷺ لسحر لبيد بن الأعصم لا يتنافى مع عصمته ﷺ؛ لأن تأثير هذا السحر كان مُقْتصرًا على بعض قوى النبي البدنية، وهي قوة الجماع، وهذا يتضح من قول السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ: "حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن"[5].

وفي رواية أخرى: "مكث كذا وكذا يُخيَّل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي"[6].

إن ما تعرَّض له النبي ﷺ من باب المرض البدني، ولم يكن له أي تأثير على قواه العقلية، فقد تكفَّل الله بحفظها عليه ﷺ.

إن سحر النبي ﷺ من لبيد على هذا النحو وتلك الكيفية ـ لو أدرك هؤلاء الغلاة ـ يؤكد بشريته ﷺ، ويرفع قدر نبوته في الوقت ذاته، يقول د. عماد السيد الشربيني: إن سحر الرسول ﷺ يرفع من مقام النبوة وشرفها، ولا يحطُّ من شأنها، ولا يتعارض مع

---

١. شمائل المصطفى، د. وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ص٥٢٥، ٥٢٦ بتصرف يسير.

® في "بشرية النبي ﷺ وتعرضه للابتلاءات" طالع: الوجه الأول، من الشبهة الثانية والعشرين، من هذا الجزء.

٢. رجلان: أي ملكان في صورة رجلين.

٣. الرَّعوفة: صخرة تكون أسفل البئر.

٤. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر (٥٤٣٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب السحر (٥٨٣٢).

٥. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر (٥٤٣٢).

٦. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (النحل: ٩٠) (٥٧١٦).

عصمته ﷺ، فالرسول ﷺ لم يكن معصومًا من الأمراض، فلقد كان يأكل ويشرب ويمرض، كما قالت عائشة رضي الله عنها: "إن رسول الله ﷺ كان رجلًا مسقامًا، وكان أطباء العرب يأتونه فأتعلم منهم" [1]. وكانت تجري عليه كل النواميس المعتادة التي كتبها الله على ولد آدم، وليس في السحر على الهيئة الواردة ما يُنقص من قدره وعصمته بوصفه إمامًا لسائر الأنبياء، ما دام السحر واقعًا على بعض قواه البدنية فقط[2].

يقول القاضي عياض: "فقد استبان أن السِّحر إنما تسلَّط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله، وأنه إنما أثَّر في بصره وحبسه عن وَطْء نسائه وطعامه، وأضعف جسمه وأمرضه، ويكون معنى قوله: "يُخيَّل إليه أنه يأتي أهله، ولا يأتيهن"، أي: يظهر له من نشاطه ومتقدّم عادته القدرة على النساء، فإذا دنا منهن أصابته أَخْذة السحر فلم يقدر على إتيانهن، كما يعتري من أُخذ واعتُرض، ولعلَّه لمثل هذا أشار سفيان بقوله: وهذا أشدُّ ما يكون من السحر، ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى: إنه يتخيل إليه فعل الشيء وما فعله، من باب ما اختلَّ من بصره كما ذُكر في الحديث؛ فيظن أنه رأى شخصًا من بعض أزواجه أو شاهَد فعلًا من غيره، ولم يكن على ما خُيِّل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في مَيْزه (تمييزه)، وإذا كان هذا لم يكن فيما ذُكر من إصابة السِّحر له، وتأثيره فيه ما يُدْخل لبسًا، ولا يجد به المعترض الملحِد أُنسًا" [3].

"ومن الثابت أن واقعة السحر ثابتة على الجسد فقط، وأن السحر لم يؤثِّر في الرسول ﷺ في شئون تبليغ الوحي الإلهي والشرع إلى الأمة، وإنما اقتصر تأثير السحر على بعض حواسه، أو قدراته المتعلقة بشئون الدنيا من جماع وغيره" [4]، أما ما يتعلق بأمر النبوة، فقد عصمه الله في ذلك، وحرس وحيه أن يلحقه الفساد والتبديل، فلا ضرر لحقه من السحر على نبوته، ولا نقص فيما أصابه منه على دينه وشريعته، كما أن مدة هذا السحر لم تَطُل، بل عُوفِي ﷺ برُقية جبريل عليه السلام له.

وعليه، فلا يحق لأحد أن يدَّعي أن تعرُّض النبي ﷺ للسِّحر في بدنه يتنافى مع عصمته ﷺ في أمر الدين ®.

ثالثًا. تعرُّض النبي ﷺ للسحر لا يتعارض مع آية واحدة في القرآن الكريم، بل إن بعض آيات القرآن تؤيد وقوعه للنبي ﷺ:

أما ما يزعمه هؤلاء المغالون من أن القول بتعرض النبي ﷺ للسحر يتعارض مع بعض آيات القرآن الكريم، فهو زعم لا يقوم على دليل؛ وإنما هو تفسير خاطئ لآيات الكتاب الحكيم، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

- عصمة الرسول ﷺ الواردة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ

---

١. إسناده صحيح: أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الطب (٧٤٢٦)، وصحح إسناده ووافقه الذهبي في التلخيص.

٢. رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ، د. عماد السيد الشربيني، مرجع سابق، ص٢٥٠ بتصرف.

٣. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، مرجع سابق، ج٢، ص١٨٢، ١٨٣.

٤. شمائل المصطفى، د. وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ص٥٣٠.

® في "عدم تأثير السحر على عقل النبي ﷺ" طالع: الوجه الأول، من الشبهة التاسعة عشرة، من هذا الجزء.

﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (المائدة)، المراد بها: عصمته ﷺ من القتل والاغتيال، والمكائد المهلكة، فضلًا عن عصمته من الغواية والهوى والضلال، وعدم الوقوع في المعاصي والمنكرات، ولا يدخل في العصمة هنا عصمته من الأمراض كما سبق أن بيّنا؛ لأن الأنبياء جميعًا غير معصومين من المرض، فهم جميعًا تجري عليهم كل النواميس المعتادة التي أودعها الله في ولد آدم، وعلى ذلك فالآية ليست على عمومها.

ولو كانت على عمومها ما استطاع أحد أن يتطاول عليه ﷺ ولا أن يناله بأذى، وها هم أعداؤه يخطئون في حقه ويتطاولون عليه ﷺ كثيرًا؛ بوصفه بالجنون، والكهانة، والسحر، وينالون منه في المعارك بكسر رباعيته، وشج رأسه، وحديثًا بسبِّه ومحاولة تشويه صورته والطعن في سيرته وأخلاقه ﷺ، وهذا يدل على أن الآية في عصمته من القتل، والغواية، والضلال، فلا تعارض بينها وبين سحره ﷺ، أو لحوق الأذى به ـ قديمًا وحديثًا ـ كما هو ثابت ومشاهد ومعلوم.

● أما القول بأن الحديث معارض للقرآن الكريم، ويصدق المشركين في قولهم الذي ذكره القرآن: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ (الفرقان)، فهو قول مردود؛ لأننا نعلم يقينًا أن الكفار لا يريدون بقولهم هذا أن يثبتوا لرسول الله ﷺ ما أثبته هذا الحديث من تعرُّض بدن النبي للسحر مدة وجيزة، لما قام فلانٌ من اليهود بسحره بضعة أيام، فأدركه شيء من التغيُّر، وخُيِّل إليه أنه يفعل بعض الشيء، وهو لا يفعله، ثم إن الله تبارك وتعالى شفاه من ذلك، هم لا يريدون هذا، بل يريدون أن ما يصدر عن رسول الله ﷺ إنما يصدر عن خيال وجنون، وأنه لم يوحَ إليه شيء، فإذا آمنا بما دلَّ عليه الحديث لم نكن مصدقين للمشركين في دعواهم، فمفهوم الحديث من تعرضه للسحر شيء، ودعواهم تلك شيء آخر[1].

● أما الزعم أن تعرُّض النبي ﷺ للسحر، وهو من عمل الشياطين، وصنع النفوس الشريرة الخبيثة، يتعارض مع قوله ﷻ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (الحجر).

فهذا الزعم مردود عليهم بما ورد في القرآن الكريم من آيات تثبت تعرُّض الشيطان للأنبياء بأنواع الإفساد والإغواء، ومع ذلك عصمهم الله ﷻ بعدم تمكنه من إغوائهم، أو إلحاق ضرر بهم يضر بالدين، وتأمل قوله الله تعالى في حق سيدنا أيوب عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ (ص)، وقوله ﷻ في حق سيدنا آدم عليه السلام وزوجته حواء: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة: ٣٦)، ومن هنا لا يلزم من وقوع السحر في حق الأنبياء إضلالهم وإغواؤهم، فإن ذلك ظن فاسد، وتأمل قوله ﷻ: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ

---

١. رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ، د. عماد السيد الشربيني، مرجع سابق، ص٢٥١، ٢٥٢ بتصرف.

حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ (طه).

فقد صرَّحت الآيات بأن سحر أولئك السَّحَرة، قد أوقع نبي الله موسى في التخييل، حتى تغيرت أمامه الحقائق، فحسب الحبال حيات، والساكنات تحركات، وعندما أوجس في نفسه خيفة، كانت عصمة ربه له بالوحي إليه بعدم الخوف؛ لأنه رسول الله حقًّا، وعليه إلقاء ما في يمينه فإذا هي حية تلقف ما صنعوا، فتأمل ما في الآيات من إثبات تعرّض بعض الأنبياء للسحر، مع عصمتهم من آثاره المضِرَّة بدعوتهم[1].

وهكذا يتضح أن الحديث لا يتعارض مع أية آية من القرآن، بل إن آيات القرآن الكريم تؤيده، نحو قوله ﷻ: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ (الفلق)، فهذه السورة وسورة الناس، واللتان تسميان بالمعوذتين، نزلتا في قصة سحره ﷺ، كما جاء من حديث ابن عباس ومن حديث عائشة أيضًا ففيه من الزيادة أنه "وجد في الطلعة تمثالًا من شمع، تمثال رسول الله ﷺ وإذا فيه إبر مغروزة، وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة، فنزل جبريل بالمعوذتين، فكلما قرأ آية انحلت عقدة، وكلما نزع إبرة وجد لها ألمًا، ثم يجد بعدها راحة، حتى قام رسول الله ﷺ كأنما نَشَط من عِقال[2]"[3].

وبناء عليه، فإن تعرُّض النبي ﷺ للسحر لا ينكره إلا من نظر نظرة تعصُّب، وحرص على تشويه الحقيقة التي لا مراء فيها، وغالى في وصف النبي ﷺ وتجاوز بشريته التي أثبتها القرآن له في قوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ (الكهف: ١١٠).

أما من ينظر نظرة إنصاف فإنه يرى أنّ الحديث يمثِّل صورة طيبة، فها هو قد سُحر لكنه لم يُترك، وإنما سأل الله ودعا، واستجاب له ربه، وجاءه جبريل وغيره من الملائكة، وأخبره الله بحقيقة حاله، ورقاه جبريل، ورقى ﷺ نفسه، وبرئ بفضل الله ﷻ سريعًا، فإن دل هذا على شيء فإنما يدل أولًا على بشريته ﷺ، وثانيًا على عصمة الله ﷻ له، وكريم منزلته ﷺ عنده ﷻ، وعلى عظيم عنايته تعالى برسوله ﷺ.

ومن ثَمَّ فإنّ تعرُّض النبي ﷺ للسحر لا يتنافى بأي حال مع عصمته ﷺ، وإنما يمثِّل نقطة مشرقة؛ إنه سُحِرَ، لكنه لم يخرج عن دائرة الصواب، بل كان في أعلى درجات الاستقامة والهداية.

إن هذا السحر لم يؤثر في قواه العقلية، ولا في درجته الإيمانية، وإنما كان مؤثرًا في أداء الجسم، وهذا لا علاقة له بالرسالة والوحي، ومع أنه أمر جسدي فإن الرعاية الإلهية قد شملته، وتولاه الله تبارك وتعالى بالحفظ، وسلمه شفاه[4].

رابعًا. الحكمة التشريعية التي تقف وراء سِحْر النبي ﷺ:

إذا كان لقائل أن يقول: إذا كان النبي ﷺ معصومًا،

---

١. المرجع السابق، ص٢٥٢، ٢٥٣.

٢. العِقال: الحبل.

٣. صحيح: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، كتاب جماع أبواب غزوة تبوك، باب جماع أبواب كيفية نزول الوحي على رسول الله ﷺ (٣٠١٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٦١).

٤. دفع الشبهات عن السنة النبوية، د. عبد المهدي عبد القادر، مكتبة الإيمان، مصر، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص٩١، ٩٢.

وإذا كانت العناية الإلهية أحاطت به فلمَ أثَّر فيه السحر؟

نقول: إن أعداءه ﷺ كادوا له بكل ما استطاعوا:

- أثاروا الشبه، يشوِّهون بها الإسلام!!
- رموه بكثير من الكلمات الجارحة، يريدون التقليل من شأنه.
- وصفوا ما جاء به من الهدى بصفات سيئة، حرصًا على تضليل الناس.
- جاءوا بالقصص من الأمم الأخرى يصرفون بها الناس عن القرآن والإسلام.
- حاولوا صرف الناس عن سماع القرآن الكريم، وعن الإسلام بكل وسيلة.
- جاءوا بمشاهير الحسَّاد، كي يحسدوه، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٥٢﴾ (القلم).
- خطَّطوا لقتله مع تفريق دمه في كل القبائل.
- جيَّشوا الجيوش لحربه، والقضاء على أمة الإسلام، كما في بدر وأحد، وغيرهما.

وكل هذه الوسائل لم تؤثر فيه ﷺ، وإنما نصره الله وأيَّده.

وشاء الله أن يؤثّر السحر فيه مرة، ليعلمنا تبارك وتعالى على لسان نبيه ﷺ، ماذا نفعل إذا وقع لنا شيء من السحر.

لقد استفدنا من هذا الحديث ـ الذي يتحدث عن وقوع السحر له ﷺ ـ أننا نعالج أنفسنا من السحر بثلاثة أمور:

١. **الصبر على الحال**، فإنه ﷺ حينما أحسَّ بما عليه حاله، فوَّض وسلَّم أمره إلى ربه، يرجو بذلك الأجر والمثوبة.

إنه يؤمن أن كل شيء بإذن الله، وأن كل شيء بقدر الله، كما قال تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ (التوبة)، وقال تبارك وتعالى في شأن السحرة: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٠٢).

إنه ﷺ يؤمن أن الصبر على البلاء يؤجر عليه المسلم، ومن هنا صبر واحتسب، إنه لم يخف السحر ولم يضطرب؛ فالأمور بيد الله تبارك وتعالى، وهو الواثق بالله المتوكل عليه، ومن هنا صبر يحتسب أجر ذلك عند الله تعالى.

٢. **كثرة الدعاء**، ففي الحديث الشريف الذي معنا صبر النبي ﷺ مدة، ثم دعا، وألح في الدعاء، وفي هذا تعليم للمسلم أنه في مثل هذه الحالات يكثر من الدعاء، فإنه ببركة الدعاء يفرِّج الله تبارك وتعالى عنه ما هو فيه، قال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)، وقال ﷺ: "لا يرد القضاء إلا الدعاء"[1].

٣. **الرقية**، وذلك بقراءة سورتي الفلق والناس؛ ففي بعض روايات حديث السحر هذا أنه ﷺ رُقي بهاتين السورتين، وكلما رُقي بآية انحلّت عقدة، حتى انحلت العقد كلها، وشفي بفضل الله تمامًا، وفي سورتي

---

١. حسن: أخرجه الترمذي في سننه، كتاب القدر، باب لا يرد القدر إلا الدعاء (٢١٣٩)، والبزار في مسنده، الجزء الثاني، مسند سلمان الفارسي (٢٥٤٠)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤).

الفلق والناس ـ واللتان تسميان بالمعوِّذتين ـ يقول ﷺ: "ما تعوَّذ متعوِّذ بمثلهما"[1].

وهكذا يتضح أن الله ﷻ شاء له ذلك ليعلِّم الأمة ماذا تفعل في مثل هذه الحالة.

والعلماء على هديه يسيرون، يستشفون بهذه الأمور، أما الجهلة فإنهم يذهبون إلى أماكن الدجل، ولولا أن الله شاء بنبيه ذلك، لذهب الجميع إلى الدجل.

على الرغم من أن تأثير السحر فيه ﷺ درجة أقل من درجته ﷺ، لكن قد يقع له ما هو أقل من درجته للتشريع، ليس هذا في السحر فقط، وإنما وقع في أمور أخرى كسهوه ﷺ في الصلاة، فقد سها في الصلاة، والسهو أقل من درجته ﷺ، لكنه سها ليعلّمنا ماذا نفعل إذا سهونا، ونام أصحابه عن وقت الصلاة وهو معهم، وليس هذا من شأنه، ولا هو باللائق بدرجته، ولكن شاءه الله ليشرِّع لنا ماذا نفعل إذا نمنا عن الصلاة، أو خرج وقتها.

إنها أحوال أقل من درجته ﷺ، شاءها الله ﷻ ليعلم الأمة دينه سبحانه، من واقع أحوال رسوله ﷺ وهو المصطفى لتبليغ الرسالة، وتوضيح معالم دينه ﷻ.

ومن ثم فتعرضه ﷺ للسحر ثابت، وكذلك عصمته ثابتة، وكما لا يُلتفت إلى من يستغل هذه الحادثة للتنقيص من عصمته والتشويش على الأمة في أمرها، فإنه لا يُلتفت ـ ولا يحتاج النبي ﷺ ـ إلى أحد يغالي في وصفه لإثبات عصمته ﷺ، وحسبه أنه خير البشر، وإمام المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين[2].

مما سبق يتضح لنا أن وقوعه ﷺ في السحر وتأثره به كان في نشاطه البدني فقط، ولا تأثير له على العقل، وفي هذا دليل على عصمة النبي ﷺ ودليل على بشريته في الوقت نفسه.

الخلاصة:

- إن النبي ﷺ وسائر الأنبياء بشر كغيرهم من الناس، فيطرأ عليهم ما يطرأ على سائر البشر من حيث الظاهر، فيجوز تعرضهم للآفات والتغيرات من مرض وسحر ظاهري ونحوه.
- إن تعرض النبي ﷺ للسحر ثابت في السنة الصحيحة، ولا يمكن التشكيك فيه، وتعرضه ﷺ للسحر لا ينافي عصمته؛ لأن السحر لم يؤثر في قواه العقلية، ولا في درجته الإيمانية، وإنما كان مؤثرًا في أداء بدنه، وهذا ليس له علاقة بالرسالة والوحي.
- القول بأن تعرض النبي ﷺ للسحر يتعارض مع آيات في القرآن الكريم، قول لا يقوم على دليل، بل هو تفسير خاطئ لآيات الكتاب الحكيم، بل إن آيات القرآن الكريم تثبت تعرض النبي ﷺ للسحر، مثل المعوِّذتين اللتين نزلتا في سحره ﷺ.
- لقد شاء الله أن يقع السحر على النبي ﷺ لكي تتعلم الأمة من بعده كيفية علاج السحر، ولا تلجأ إلى الدجل والشعوذة، إذ أرشدتنا حادثة وقوعه ﷺ في السحر إلى ثلاث وسائل لعلاج السحر، هي:
  - الصبر على الحال، والتسليم لقضاء الله، وعدم

---

١. صحيح: أخرجه الحميدي في مسنده، حديث عقبة بن عامر الجهني ﷺ (٨٥١)، وأبو داود في سننه، كتاب الوتر، باب في المعوذتين (١٤٦٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٢٩٩).

٢. دفع الشبهات عن السنة النبوية، د. عبد المهدي عبد القادر، مرجع سابق، ص٩٢: ٩٤ بتصرف.

الجزع من السحر والثقة بالله ﷻ.

- كثرة دعاء الله لرفع هذا البلاء، فلا يردُّ القضاء إلا الدعاء.
- الرقية وذلك بقراءة المعوِّذتين.

الشبهة الثانية والعشرون

الزعم أن النبي ﷺ مات متأثرًا بسمِّ الشاة وأن هذا يتنافى مع عصمته(*)

مضمون الشبهة:

يشكك بعض المغرضين في عصمة النبي ﷺ، ويستدلون على ذلك بالروايات التي تذكر أن النبي ﷺ مات متأثرًا بالسمِّ الذي وضعته له المرأة اليهودية في ذراع الشاة التي أهدتها له، ويتساءلون: ألا يتنافى ذلك مع وَعْد الله لنبيه بالعصمة من الناس في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧)؟! ويرمون من وراء ذلك إلى نفي عصمته ﷺ.

وجها إبطال الشبهة:

١) مهما يكن سبب موت النبي ﷺ، فإن الحقيقة التي لا يماري فيها أحد أنه بشر يطرأ عليه ما يطرأ على سائر البشر من آلام وأسقام وتعرُّض للموت، وهذا يؤكد بشريته، ولا يعد نقيصة فيه ﷺ، ولا يتنافى مع عصمته؛ فقد بلَّغ ﷺ رسالة ربه على أكمل وجه وأتمّه.

٢) إن قصة الشاة المسمومة تلك من أكبر الدلائل على عصمة رسول الله ﷺ، فقد أخبرته تلك الشاة أنها مسمومة، كما أن بقاء النبي ﷺ بعدها حيًّا ثلاث سنوات دون تأثر بالسم دليل على عصمة الله تبارك وتعالى له.

التفصيل:

أولا. النبي ﷺ بشر ككل البشر، يتعرَّض لما يتعرضون له دون أن يكون ذلك عيبًا أو نقيصة في حقه:

إن من الحقائق التي لا يستطيع أن يماري فيها أحد، أن النبي ﷺ بشر، وقد أمره ربه أن يقول لمن يسأله أن يأتي بالخوارق والمعجزات: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ (الإسراء)؛ فالنبي ﷺ بشر يتعرض لما يتعرض له سائر البشر من حيث الظاهر، فيجوز تعرضه للآفات والتغيرات من انقباض وبسط، وفرح وغم، وسائر الحالات من آلام وأسقام، وتعرض للموت الزؤام، وهذا كله ليس بنقيصة فيه ﷺ؛ لأن الشيء يسمى ناقصًا بالإضافة أو بالنسبة إلى ما هو أتمّ فيه، وأكمل من نوعه كأفراد الإنسان.

وقد كتب الله تبارك وتعالى على أهل هذه الدار ـ دار الهموم والأكدار ـ الحياة والموت، والخروج من المقابر، وتغير حوادث الدهر، فقد مرض ﷺ واشتكى الضر، وقد ورد في الحديث: "أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل"[1]. وأصابه ﷺ الحر

(*) سيد رسل الله وأباطيل خصومه، د. عبد الصبور مرزوق، مرجع سابق. شبهات وردود حول النبي الكريم.

١. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند سعد بن أبي وقاص (١٤٩٤)، والترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب الصبر على البلاء (٢٣٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٠٢).

www.ebnmaryam.com